

مُكاشفاتُ قرآنيّة

" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ " في المرّامي والدلالات

المخلوقاتُ شَتَّى ظاهراً وباطناً. تملأُ عالمنا جمالاً وإعجازاً. ضَخِيمُها مُدهشٌ جُملةً وتفصيلاً، وكذا دَقِيقُها فِعْلاً ووظيفةً. ابتداءً بك أيّها الإنسان، وانتهاءً بهذا الفضاءِ الرَّحْبِ شمساً وأقماراً، تنسكبُ شواهدُ القدرةِ المُعْجِزةِ خُصباً خُصباً.

من تحسبُ نفسَكَ في هذا الكونِ، أيُّها الكَفُورُ؟ أحبُّهُ قَمَحٌ في سبَلِ البِيدِ؟ بل أنتَ أصغرُ. أذرةٌ رملٍ في الفَيَافِي البِيدِ؟ بل أهيْفُ. أَقْطِرةٌ ماءٍ في هادرِ بحرٍ؟ بل أضعفُ. أبصيرةٌ من بصائرِ الخلقِ تلمعُ في دنيا الوجودِ؟ ها أنتَ الآن تُصِيبُ.

تجلَّت روعةُ الخلقِ بك وفيك، أيُّها العَجولُ! من تُرابٍ صَلْصالٍ بدأت. ومن نُطفةٍ من ماءٍ مَهِينٍ نشأت. ثُمَّ من عَلاقةٍ صارت مُضغَّةً، صُوِّرتَ فتمايزت. ومن روحٍ لا بوحٍ فيها كُرِّمتَ نبيلاً، فتعاليت. ومن ناغٍ، إلى صَيَّاحٍ، إلى مُهمهمٍ هَرَمٍ، تدرّجت. ومن حيثَ نشأت، إلى تُرابٍ مَأْلكَ ما حييت.

كُنْ فَيَكُونُ

بَعْدَ زَمَنِ الوُقُوعِ أم قِصْرٍ، المَشِيئَةُ الإلهيَّةُ واقعةٌ وجوداً لا محال. فاللهُ جَلَّ وَعَلا فَعَّالٌ لما يُريد. والبيانُ الإلهيُّ صريحٌ بَيِّنٌ في هذا الشَّانِ. هنا، تنتفي إمكانيةُ عدمِ تحقيقِ المَشِيئَاتِ الإلهيَّةِ نَفِيّاً مُطلقاً. ويبقى السُّؤالُ المُشْكَلةَ في زمنِ تحقيقِ المَشِيئَاتِ الإلهيَّةِ، وفي هويةِ مُحَقِّقاتِ المَشِيئَاتِ الإلهيَّةِ.

كُنْ فَيَكُونُ.. الأَوَّلُ مَشِيئَةٌ، والثَّانِي فِعْلٌ تحقيقٌ مَشِيئَةٌ. ما بين أمرٍ مَشِيئَةٍ وفِعْلٍ تحقيقٍ يُعرِّشُ زَمَانٌ ويسكنُ وجودٌ. فأما المَشِيئَةُ فَرُؤْيَةٌ. والرُّؤْيَةُ فِكرَةٌ. والفِكرَةُ لا عَمْرَ لها ولا مَكانٍ، وفي هذا تتساوى الأفكارُ. فمَشِيئَةُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَشِيئَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، لا فَرَقَ بينهما في حاسوبِ الزَّمَنِ والجهدِ.

وأما تحقيقُ المَشِيئَةِ ففِعْلٌ. والفِعْلُ مستهلكٌ للزَّمَانِ، مستعمرٌ للمَكانِ. بهذا، يختلفُ تحقيقُ مَشِيئَةِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عن تحقيقِ مَشِيئَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. فتحقيقُ المَشِيئَاتِ واقِعاً وجودياً هي نتاجُ أفعالٍ. والأفعالُ عَدَاها الزَّمَانُ وشاهدُها الوجودُ. ومن كانَ الزَّمَانُ له قِيَاسٌ والوجودُ له كَيْبَالٌ، اختلفَ بذاتِهِ وتمايزَ.

هَبِ الخالقُ الزَّمَّ ذاته في أمرِ المَشِيئَةِ وفي فِعْلٍ تحقيقٍ واقِعاً أيضاً، يصبحُ الأمرُ والفِعْلُ سَيَّاناً. فاللهُ وسِعَتِ قدرتهُ كلَّ شيءٍ. عندها، لا يَتَمايزُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِعْلاً عن خَلْقِ الْإِنْسَانِ واقِعاً وجوداً. فاللهُ جَلَّ وَعَلا هو المرِيدُ وهو المُحَقِّقُ لما يُريد.

أما والبيانُ الإلهيُّ صريحٌ بوجودِ التباينِ في فِعْلِ الخلقِ ما بين خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من جهةٍ وخلقِ الْإِنْسَانِ من جهةٍ أُخرى. فذلك مَرْدُهُ إلى أَنَّ المُحَقِّقاتِ لمَشِيئَاتِ الخالقِ هي مخلوقاتُ الله لا الله ذاته. والمخلوقاتُ وإنَّ علا شأنها، هي دونِ الله استطاعةً وقدرةً. لها قوانينُها النَّاطِمةُ لعمَلِها، لا تحيدُ عنها. كما لها عَطائِها الذَّائِبَةُ العاشِقَةُ للزَّمَنِ، العاملةُ على إيقاعِ عَدَاةِ.

المادَّةُ الأولى

ابتداءً اللهُ جَلَّ وَعَلا خَلَقَهُ بالمادَّةِ الأولى، أصغرِ المخلوقاتِ ممَّا نعلّمُهُ في زماننا؛ كالدَّرةِ أم مكوّناتِها الأصغرِ، من الكُتْرُونِ، أم بروتونِ، أم نترُونِ، على ما أَرَجَّحُ. ولقَّنتها قوانينَها النَّاطِمةَ لسيرتِها وصيرورتِها. منحها الذِّكَاءَ والقدرةَ لحملِ هكذا أعباءٍ وجوديةٍ. كيف لا وهي المحظيَّةُ، باكورةُ الخلقِ.

جميع المادة تدرك غايته وجودها، وتدرك فطرياً خصائصها الذاتية والموضوعية. كما وتدرك حجم مسؤولياتها في هذا الوجود. فهي المعنية أبداً في تحقيق مشيئات الله باريها. تنزل عليها المشيئات أمر عمل واجب التحقيق والتنفيذ.

فمتى تكثفت الرؤية في مشيئة الخالق استنفرت المادة لتحقيقها واقعاً. تمدد الجسور فيما بينها، نُقِم حواراً. تضع خطة العمل وحيثيات التنفيذ. القوانين صارمة، فالمشيئات إلهية. والمشروع على قدر هائل من الصعوبة والدقة؛ مشروع خلق السموات والأرض ومشروع خلق الإنسان. لا مجال للخطأ ههنا.

سنة أيام، زمن عطالة

خلق الله جلّ وعلا السموات والأرض وما بينهما في سنة أيام كونية، استوى بعدها على عرش الجلالة. واليوم بألف سنة مما اعتاده الناس حيناً، وبخمسين ألف سنة أحياناً. ولربما، بخمسين مليون سنة مما تُهامسني به النفس. سنة أيام كونية، أم ست ألاف سنة، أم ثلاثمئة ألف سنة، أم ثلاثمئة مليون سنة أرضية، جميعها أزمنة عطالة ذاتية وقصور وظيفي. والقصور والعطالة لا تكونان أبداً لخالق، بل لمخلوق.

سنة أيام كونية، ولو أرادها الله لوقعت مشيئة خلق السموات والأرض وما بينهما من لحظها. فيهدأ الفكر، ويسكت الزمن، رهبة المشيئة الإلهية. ويحسم الأمر الذي فيه نخوض؛ فأمر المشيئة وفعل تحقيقها بعصمة مُقتدر قادر. بيد أن الله أرادها لمخلوقاته الأولى، المادة الأولى، جميلة التنفيذ وفضيلة تحقيق تلك المشيئة. وأرادها لنا، نحن البشر، أجنبية خلق تحرك الفكر وتمض العقول على مر الأزمان والعصور.

(* في السياق ذاته، أنصح بقراءة المقالات التالية:

- [هل يفيد التداخل الجراحي الفوري في أدبائ النخاع الشوكي وذيل الفرس الرضوية؟](#)

- [النقل العصبي، بين مفهوم قاصر وجديد حاضر](#)

[The Neural Conduction.. Personal View vs. International View](#)

[في النقل العصبي، موجات الضغط العاملة Action Pressure Waves](#)

[في النقل العصبي، كمونات العمل Action Potentials](#)

[وظيفة كمونات العمل والتيارات الكهربائية العاملة](#)

[في النقل العصبي، التيارات الكهربائية العاملة Action Electrical Currents](#)

[الأطوار الثلاثة للنقل العصبي](#)

[المستقبلات الحسية، عبقرية الخلق وجمال المخلوق](#)

[النقل في المشابك العصبية The Neural Conduction in the Synapses](#)

[عقدة رانفييه، ضابطة الإيقاع The Node of Ranvier, The Equalizer](#)

[وظائف عقدة رانفييه The Functions of Node of Ranvier](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الأولى في ضبط معايير الموجة العاملة](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثانية في ضبط مسار الموجة العاملة](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثالثة في توليد كمونات العمل](#)

- [في فقه الأعصاب، الألم أولاً The Pain is First](#)

- [في فقه الأعصاب، الشكل. الضرورة The Philosophy of Form](#)

- [تخطيط الأعصاب الكهربائي، بين الحقيقي والموهوم](#)

[الصدمة النخاعية \(مفهوم جديد\) The Spinal Shock \(Innovated Conception\)](#)

- [أدبائ النخاع الشوكي، الأعراض والعلامات السريرية، بحث في آليات الحدوث The Spinal](#)

[Injury, The Symptomatology](#)

[الرمع Clonus](#)

اشتداد المنعكس الشوكي Hyperactive Hyperreflexia	
تَسَاعُ باحة المنعكس الشوكي الاشتدادى Extended Reflex Sector	
الاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس الشوكي الاشتدادى Bilateral Responses	
الاستجابة الحركية العديدة للمنعكس الشوكي Multiple Responses	
التنكس الفاليري، يهاجم المحاور العصبية الحركية للعصب المحيطي.. ويعف عن محاوره الحسية Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons	-
التنكس الفاليري، رؤية جديدة (Innovated View) Wallerian Degeneration	
التجدد العصبي، رؤية جديدة (Innovated View) Neural Regeneration	
المنعكسات الشوكية، المفاهيم القديمة Spinal Reflexes, Ancient Conceptions	
المنعكسات الشوكية، تحديث المفاهيم Spinal Reflexes, Innovated Conception	
خَلَقَتِ المرأة من ضلع الرّجل، رائعة الإيحاء الفلسفيّ والمجاز العلميّ	
المرأة تقرّر جنس وليدها، والرّجل يدعى!	
الرّوح والنّفس.. عطية خالق وصنّيعه مخلوق	-
خَلَقَ السّمّوات والأرض أكبر من خلق النّاس.. في المرامي والدلالات	-
تفاحة آدم وضلع آدم، وجهان لصورة الإنسان.	
حـواء.. هذه	-
سفينه نوح، طوق نجاه لا معراج خلاص	-
المصباح الكهربائي، بين التجريد والتنفيذ رحلة ألف عام	-
هكذا تكلم ابراهيم الخليل	-
فقه الحضارات، بين قوه الفكر وفكر القوه	-
العده وعله الاختلاف بين مطلقه وأرملة ذات عفاف	-
تعدّد الزوجات وملك اليمين.. المنسوخ الأجل	-
الثقب الأسود، وفرضية النجم الساقط	
جسيم بار، مفتاح أحجية الخلق	